المصطلح القرآني في نقد التوراة
دراسة تطبيقية في ضوء منهج نقد النص

د. محمد جلاء إدريس *

مدخل :

من وجوه الإعجاز القرآني، أن هذا الكتاب الكريم قد قدّم لنا منذ أربعة عشر قرناً أسس كثير من العلوم التي توصلت إليها البشرية مؤخراً.

وعلى الرغم من أن الأوائل من المسلمين قد تنبهوا إلى هذه الأسس، وبنوا عليها أسفاراً ضخمة ظلت باقية إلى يومنا هذا نبراساً لأجيال الباحثين، فإن المعاصرين من المسلمين ـ وغير المسلمين ـ قد انجذبوا إلى منتجات الغرب الفكرية أكثر من تلك المنتجات الفكرية الإسلامية التي نظروا إليها كبضاعة راكدة.

فلقد ظهر من بين هؤلاء الأوائل النوبختى (٢٠٢ هـ) وهو أول من كتب في مجال مقارنة الأديان وله كتاب "الآراء والديانات"، كما كتب المسعودي (٣٦٠هـ) كتابين عن الديانات، وللمسبحى (٤٢٠هـ) كتاب في ثلاثة آلاف ورقة بعنوان "دركُ البغية في وصف الأديان والعبادات"، كما كتب أبو منصور البغدادى (٤٢٩هـ) كتاب "الملل والنحل"، وموسوعة ابن حزم الأندلسى (٤٥٦هـ) "الفصل في الملل والأهواء والنحل" ما زالت تمثل قمة الدراسات التي عالجت الأديان معالجة موضوعية إلى حد ما، وللشهرستاني كذلك (٥٤٨هـ) كتاب الملل والنحل، ولنجم الدين البغدادي الطوفى (٧١٦هـ) كتاب الانتصارات الإسلامية...

---

*الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية ـ اسلام آباد .

ولقد استمد معظم هؤلاء أسس دراساتهم من القرآن الكريم، وسبقوا العالم كله في هذا النوع من الدراسات، بل واستطاعوا أن يوجهوا أنظار الغرب إلى دراسة الأديان. فالنقد التاريخي للكتاب المقدس ـ على سبيل المثال ـ لم يبدأ في الغرب بداية منهجية حقيقية إلا في القرن السابع عشر الميلادى وكان رائده الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا (ت ١٦٧٧م). وقد أثبت الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي في دراسة له عن منهج نقد النص، أن هذا الفيلسوف اليهودي قد تأثر في هذا المجال بالحبر الغرناطى ابراهام بن عزرا الذى تأثر بدوره تأثراً واضحاً بكتابات ابن حزم (الذي سبقه بمائة عام تقريباً) في هذا الفرع من العلوم، وكان بمثابة واسطة فكرية بين ابن حزم وسبينوزا، حيث نجد تشابهاً كبيراً بينهما. يقول الدكتور الشرقاوى: "ويمكن القول: إن الفيلسوف اسبينوزا ـ في نقده الداخلي ـ قد لخص، وهذب، ونسق وعمق الحيثيات التي أوردها ابن حزم من قبل، ثم انتهى إلى نفس النتائج التي انتهى إليها ابن حزم، بل إنه صاغها ـ أحياناً ـ بنفس عبارة ابن حزم الأندلسى"[1]

إن تلك المحاولات الغربية التي تعاملت مع نصوص العهد القديم على نحو ما نجد في القرن الخامس عشر حيث كشف الأسقف الأسباني توستاتوس بعض النصوص الموضوعة في العهد القديم، أو في القرن السادس عشر حين أعلن بودنشتين عام ١٥٢٠م أن مؤلف الأسفار الخمسة مجهول، أو في القرن السابع عشر حيث رأى بعض علماء الجزويت مثل بريرا بعض النصوص الموضوعة في العهد القديم بعامة والأسفار الخمسة بخاصة ثم كتابات

---

١ ـ محمد عبد الله الشرقاوي، منهج نقد النص بين ابن حزم الأندلسي واسبينوزا، دار الفكر العربي، ١٩٩٣، ص: ٧٠ .

ريتشارد سيمون العديدة في ذلك القرن أيضا[١]، كل تلك المحاولات وما تلاها من نقد منهجي لنص العهد القديم ليست سوى تأكيد على صحة الاتجاه القرآني في التعامل مع تلك النصوص.

و دورنا في هذه الدراسة الموجزة يتمثل في تحديد المصطلح القرآني في نقد النص التوراتي من خلال ماجاء في بيانه في التفاسير المختلفة، ثم التدليل على هذا المصطلح بأدلة من نصوص العهد القديم، اعتمدت في اختيارها ـ في الغالب ـ على استقرائي الشخصي لهذه النصوص دون الاعتماد على ما جاء في بعض الدراسات السابقة من أدلة على التحريف والتناقض، فكثير مما جاء في هذه الدراسات ـ في رأينا ـ تغلب عليه العاطفة أكثر من الموضوعية.

ففي نقد ابن حزم ـ على سبيل المثال ـ وقد أصبح كتابه حجة عند الكثيرين في نقد النص التوراتي، نراه يذكر بعض النصوص ثم يعقب عليها بتعليقات غير مقنعة على الإطلاق، يقول على سبيل المثال :

"وفي كتاب لشعيا أنه رأى الله عز وجل شيخاً أبيض الرأس واللحية وذا تشبيه حاش لنبى أن يقوله".[٢]

وفي تعليقه على بعض قضايا سفر الخروج يقول:

"وفي هذا الفصل عجائب .." ثم يذكر ما يريد نقده ويعلق قائلا: "وحاش لله من أن يريد إخلاف وعده فيريد الكذب"[٣]

---

١ ـ محمد عبد الله الشرقاوي، في مقارنة الأديان: بحوث ودراسات، دار الهداية، القاهرة، ص : ٦٥ .

٢ ـ ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٥، ٢١١/١

٣ ـ المصدر السابق ٢٥٩/١ .

ولا نرى في مثل هذه الشواهد نقداً موضوعياً منهجياً، بل هى عبارات عاطفية لا تضيف لنقد النص شيئاً ذا قيمة.

كما فهم ابن حزم بعض النصوص فهماً خاطئاً، ومن ثم لم يكن نقده لها في موضعه، ومثال ذلك ما رآه في الفقرة الأولى من الإصحاح الثاني عشر من سفر العدد ونصها: "وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها، لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية"، حيث علق على ذلك قائلاً: وكيف تكون حبشية؟ وقد قال في أول توراتهم إنها بنت "يثرون" المدياني، وهو بلا شك من ولد "مدين بن ابراهيم" عليه السلام، فأحد هذين القولين يكذب الآخر.(١)

ولا نفهم من نص سفر العدد أن المرأة الكوشية هى بنت يثرون، وقد ذهب أصحاب السنن القويم - وردهم في رأينا مقنع - أن قوله (التي اتخذها) يدل على أن موسى اقترن بها حديثاً لا على تزوجها منذ أكثر من اربعين سنة، كما أنه ليس من المعقول أن تدين مريم ومعها هارون هذا الزواج بعد وقوعه بزمن طويل، علاوة على ذلك فإن التذمر هنا على الكوشية نفسها لا على اقتران موسى بها.

وذهبوا أيضاً إلى ترجيح زواج موسى من احدى الكوشيات اللواتي جئن مع بنى إسرائيل من مصر أو احدى الكوشيات الساكنات في بلاد العرب، وذلك بعد وفاة زوجه الأولى بنت يثرون المدياني.(٢)

كما نلاحظ كذلك قلة ما أورده ابن حزم من نصوص محل نقد، إذ عالج

---

١ - المصدر السابق ٢٨٠ .

٢ - السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ٢/٢٦٦ .

هذه القضية الهامة في أقل من مائة وثلاثين صفحة[١] من جزء واحد من أجزاء موسوعته، ومن ثم لم يأت نقد النص التوراتي كافياً.

لذلك حاولت في هذه الدراسة - بقدر المستطاع - أن تتعدد الشواهد وتتنوع من ناحية، وأن اعتمد على مقابلة نصوص العهد القديم ببعضها لبيان ما بها من تناقض من ناحية أخرى، معتمداً كذلك في كثير من المواضع على آراء علماء الغرب في هذه النصوص كلما أمكن ذلك.[٢]

وأبرز ما يطالعنا بشأن الموقف القرآني من نقد التوراة، هو تلك المصطلحات التي جاءت في القرآن الكريم إزاء هذه القضية، وفيما يلي أهمها:

١.مصطلح التحريف:

قال تعالى: **﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾**"البقرة: ٧٥

وقال تعالى: **﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين﴾** النساء ٤٦

وقال تعالى: **﴿ يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾** المائدة: ٤١

١ - الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٢٠٠ - ٣٢٩ .

٢ - ليس هناك تناقض بين استخدام القرآن للفظ التوراة، واستشهاداتنا المبنية على نصوص العهد القديم كله، فاطلاق لفظ التوراة على كل هذا الكتاب أمر وارد، من باب اطلاق الجزء على الكل.

والتحريف لغة هو الإمالة : وحرّف الكلام : غيره وصرفه عن معانيه.[١] ومعناه أيضاً التعديل، فيقال قلم محرف أى عُدل بأحد حرفيه عن الآخر، وتحريف الكلم عن مواضعه أى تغييره.[٢]

والتحريف اليهودى للتوراة، والمعنى في الآيات الكريمة السابقة، قد اتخذ عدة أشكال على نحو ما ذهب المفسرون:

فقد ذهب الخازن في تفسير آية البقرة إلى أن المقصود من قوله تعالى: **﴿ثم يحرفونه﴾** أى يغيرون كلام الله ويبدلونه، وقوله تعالى: **﴿من بعد ما عقلوه﴾** أى علموا صحة كلام الله و مراده فيه ثم مع ذلك خالفوه، وقوله تعالى : **﴿وهم يعلمون﴾** أى فساد مخالفته ويعلمون أيضاً أنهم كاذبون.[٣]

وأورد الطبرى في تفسير ذات الآية: قال ابن زيد: التوراة التي أنزلها عليهم يحرفونها، يجعلون الحلال فيها حراماً والحرام فيها حلالاً، والحق فيها باطلاً والباطل فيها حقاً، إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له من كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب فهو فيه محق. **﴿ثم يحرفونه﴾** ثم يبدلون معناه، وتأويله: ويغيرونه، وأصله من انحرف الشئ عن جهته وهو ميله عنها إلى غيرها.[٤]

أما الألوسى فقد قال في شرح هذه الآية: أى يسمعون التوراة ويؤولونها تأويلاً فاسدًا حسب أغراضهم، وإلى ذلك ذهب ابن عباس والجمهور على أن

---

١ ـ المعجم الوسيط: ط ٢ ، جـ ٤٤/١ .
٢ ـ لسان العرب، ٤٣/٩ .
٣ ـ لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، ٧٥/١ .
٤ ـ جامع البيان في تفسير القرآن للطبرى، ٣٦٧/١ ١ .

تحريفها بتبديل كلام من تلقائهم كما فعلوا ذلك في نعته ﷺ.[١]

وإلى هذا المعنى ذهب أيضاً صاحب المنار فقال: حرفوا كلام الله الذي حضروا وحيه وأذعنوا له بأن صرفوه عن وجهه بالتأويل.[٢]

وأما في تفسير آية النساء، فقد روى الطبرى عن مجاهد قوله: يحرفون الكلم عن مواضعه تبديل اليهود للتوراة، وأن المقصود بالتبديل هو تغيير المعنى عن تأويله،[٣]، كما ذهب الألوسى إلى أن تحريف الكلم إما بإزالته عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التوراة، وإما صرفه عن المعنى الذي أنزله الله تعالى فيه إلى ما لا صحة له بالتأويلات الفاسدة والتمحلات الزائغة، وأضاف: وأصل التحريف إمالة الشيء إلى حرف أى طرف، فإذا كان يحرفون بمعنى يزيلون كان كناية لأنهم إذا بدلوا (الكلم) ووضعوا مكانه غيره لزم أنهم أمالوه عن مواضعه وحرفوه.[٤]

وقد جمع صاحب المنار كل وجوه "تغيير النص" في تفسيره لقوله تعالى: **﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعفُ عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾** المائدة: ١٣، حيث قال: "وتحريف الكلم عن مواضعه يصدق بتحريف الألفاظ بالتقديم والتأخير والحذف والزيادة والنقصان وبتحريف المعاني بحمل الألفاظ على غير ما وضعت له.[٥]

---

١ ـ روح المعاني للألوسى ٢٩٨/١ .
٢ ـ محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، ٣٥٦/١ .
٣ ـ جامع البيان ١١٨/٥ .
٤ ـ روح المعاني ٤٦/٥ .
٥ ـ المنار ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

وآية المائدة الثانية (رقم ٤١) تنسب تحريف الكلم أيضا لليهود (من بعد مواضعه) وهي تختلف عن آية النساء (رقم ٤٦) وآية المائدة الأولى (رقم ١٣) اختلافاً يسيراً في اللفظ: ﴿**يحرفون الكلم عن مواضعه**﴾، ﴿**يحرفون الكلم من بعد مواضعه**﴾.

فهل ثمة فارق بين النصين؟!

يجيبنا الخازن على ذلك بقوله: قلت نعم بينهما فرق وذلك أنا إذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطنة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه أنهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان أنهم يحرفون تلك اللفظة من الكتاب، وأما (من بعد مواضعه) ففيه دلالة على أنهم جمعوا بين الأمرين، يعنى أنهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظة من الكتاب، ففي قوله ﴿**يحرفون الكلم عن مواضعه**﴾ إشارة إلى التأويل الباطن، وفي قوله ﴿**من بعد مواضعه**﴾ إشارة إلى إخراجه من الكتاب بالكلية.[١]

وإذا كان هناك من قال بأن التحريف بالتأويل لا بتغيير الألفاظ ولا قدرة لهم على تغييرها، فإن الصحيح هو التغيير في اللفظ والمعنى.[٢]

وهكذا نجد أن مصطلح التحريف يشمل عدة معان منها تبديل الألفاظ وإلقاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة، وصرف الألفاظ عن معانيها الحقة إلى أخرى باطلة.

وقد استخدم ابن حزم هذا المصطلح للدلالة على الحذف والإضافة

---

١ ـ لباب التأويل ٢/٥٣ ـ ٥٤ .

٢ تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٣ / ٤٤٥ ـ ٤٤٦ .

وتصــريف المعنى الأصلى الحق إلى آخـر باطل، بل وبين لنا سـبب حـدوث التحريف وهو اختصاص رجال معينين بالتوراة، واستئثار الكوهن الأكبر الهاروني بالاحتفاظ بها.[١]

أما نماذج التحريف بالمعنى الذي بيناه آنفاً عند المفسرين، فشواهده من العهد القديم لا تعد ولا تحصى، وإنما نسوق في هذا المقام القليل منها.

ففيما يتعلق بالتحريف لتحليل الحرام وتحريم الحلال نجد في سفر اللاويين ٤٢/١١ ما يلي:

"كل ما يمشى على بطنه وكل ما يمشى على أربع مع كل ما كثرت أرجله من كل دبيب على الأرض لا تأكلوه لأنه مكروه"

يبين لنا الإصحاح الحادى عشر المحرمات من المأكولات، وفي الفقرة السابقة نجد أن كل ما يمشى على أربع مكروه، والكراهة هنا للتحريم بدليل الأمر التالي بعدها (لا تأكلوه). مع أن "كل ما يمشى على أربع يشمل البقر والأغنام وكلها من الحلال، حتى عند اليهود. فإما أنهم يخالفون النص بتحريم هذه الأنواع، وإما أن النص قد حرف، واضيفت الفقرة السابقة للمحرمات، وبخاصة أن ذلك يعنى - إذا ما قرأنا الإصحاح كله - أن كل الحيوانات محرمة، وليس هذا من المعقول على الإطلاق.

وجاء في سفر التثنية ١٩/٢٣ - ٢٠ ما يلي :

١ - حول استخدامات هذا المصطلح عند ابن حزم انظر: أحمد محمود هويدى، منهج ابن حزم في نقد التوراة، مجلة الدراسات الشرقية، العدد ١٤، القاهرة، ١٩٩٥ ص: ١١١ وما بعدها.

"لا تقرض أخاك بربا فضة أو ربا طعام أو ربا شئ ما مما يقرض بربا للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكى يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها"

لا شك أن المشرع هنا يعلم مدى آثار الربا الضارة على الفرد والمجتمع، ومن ثم جاء صدر الفقرة ليحرم الربا ولكن بين اليهودى وأخيه، لكن عجز الفقرة يحل الربا بين اليهودي والأجنبي، بل يجعله "عبادة" وتقرباً إلى الله ومن موجبات بركته.

ومن المؤكد هنا أن هذا التحليل للحرام هو نوع من التحريف الذي عناه المصطلح النقدى الذي نحن بصدده الآن.

ومن نماذج التأويل الفاسد والصرف عن المعنى المراد نجد على سبيل المثال في الإصحاح الحادى عشر من سفر التكوين قصة "وحدة اللغة" عند سكان الأرض وكيف حاول البعض بناء مدينة وبرج رأسه في السماء، وإذا بالرب يخشى هذا العمل ويقول:

"وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعضهم. فبدد الرب من هناك على وجه كل الأرض. فكفوا عن بنيان المدينة. لذلك دعى اسمها بابل. لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض". ٦ – ٩

والشاهد السابق لا يقدم لنا دليلاً منطقياً لتبرير غضب الرب على أبناء نوح بعد أن اكرمهم بالنجاة من الطوفان لصلاحهم وإيمانهم به، وعبارة "والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه" تفيد خشية الرب من أعمال الإنسان،

ولا نعتقد بصحة هذا التبرير. أما التأويل الخاص بتسمية المدينة بابل لبلبلة الألسنة فهذا تأويل ساذج وباطل، لأن التسمية في الأصل ليست عبرية، وإنما هى تعنى في اللغات الآشورية والآرامية "باب إيل" أى باب الله.

ونرجح أن سبب ربط تسمية المدينة بغضب الرب عليها وعلى أهلها هو أن كاتب هذه الفقرات قد كتبها بعد وقوع السبى البابلي لليهود، ولهذا أراد أن يبين غضب الرب وسخطه على المدينة.

ومن نماذج التأويلات، والتعليقات التي أضيفت على النصوص، ما ذهب إليه بعض النقاد[١] فيما يتعلق بسفر إرميا، إذ أشاروا إلى اختلافات واضحة بين نص السفر التقليدي ونصه في الترجمة السبعينية، فهو في الأخيرة أقل حجماً من الأولى، ورجحوا سبب ذلك التعليقات المضافة إلى النصوص على نحو ما نجده في الإصحاحات الخامس والعشرين والسابع والعشرين والثامن والعشرين وكذلك في الإصحاح الثالث والثلاثين (١٤ ـ ٢٦) وغيره من المواضع.

ويرى بعض النقاد من أمثال دوم أن السفر السابق يضم ٢٧٠ فقرة تنسب إلى إرميا، وأن سيرته تتكون من ٢٠٠ فقرة فقط، بينما يعتبر ٨٥٠ فقرة من تأويلات المفسرين المتأخرين، وذهب فولتس إلى أن كل النبوءات الخاصة بالأمم الأخرى هى إضافات لحقت بالنص في وقت متأخر.[٢]

١ـ Henshaw, T., The Latter Prophets, London, 1958, pp. 19-191

٢ـ Gelin, A., (The Latter Prophets) in Introduction to the Old Testament, Ed. by Ropert A., and Feuillet, Vo1. I, New York, 1970, p. 402.

نقلاً عن محمد خليفة حسن، ظاهرة النبوة الإسرائيلية، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٩٠، ص: ٢٢٢ .

ومن الإضافات التي زج بها أصحاب التوراة إلى كتابهم بغية التأويل العمد، أو إن جاز لى أن أقول بغية "توجيه النص إلى الهدف المنشود" ما نجده في قصة يوسف عليه السلام، فقد جاء في سفر التكوين ٤٠/٥ ما يلي:

"لأنى قد سرقت من أرض العبرانيين"

ولا نعلم أى أرض للعبرانيين تلك المقصودة في الفقرة السابقة، فأرض يعقوب عليه السلام التي كان فيها هو وبنوه هى أرض الكنعانيين:

"وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان" التكوين ,٢٧/١

وجاء في تأويل اسم موسى عليه السلام في سفر الخروج ٢/١٠ ما يلي:

"ولما كبر الولد (موسى) جاءت به (اخت موسى) إلى ابنة فرعون فصار لها ابناً ودعت اسمه موسى وقالت: إني انتشلته من الماء".

وأكبر ظننا أن تأويل اسم موسى في الفقرة السابقة هو من التحريفات الثابتة في التوراة، وذلك لما يلي:

١ ـ ابنة فرعون هي التي دعت موسى بهذا الاسم، وتعليله عبرياً يعني أن ابنة فرعون كانت تعرف العبرية وهذا أمر مستبعد.

٢ ـ حتى لو سلمنا جدلاً بمعرفة ابنة فرعون للعبرية، فكان الأصح أن تطلق على موسى صيغة اسم المفعول العبرية من الفعل المزيد (همشا) بمعنى انتشل من الماء، أى كان المفروض أن يسمى موسى (مومشا) بمعنى "المنتشل من الماء. أما (موشى) فهى صيغة اسم الفاعل من الثلاثى (مشا) بمعنى انتشل من الماء.

ومن التحريفات البارزة، والمتمثلة في "تذوق" الكاتب لأنوا ع الأطعمة نجد ما جاء في وصف طعم "المن".

جاء في سفر الخروج ٢٢/١٦ ما يلي:

"ودعا بيت إسرائيل اسمه منًا. وهو كبزر الكزبرة أبيض وطعمه كرقاق بعسل".

وجاء في سفر العدد ٨/١١ ما يلي:

"وكان الشعب يطوفون ليلتقطوه ثم يطحنونه أو يدقونه في الهاون ويطحنونه في القدور ويعملون ملات. وكان طعمه كطعم قطائف بزيت".

وحل الإشكال لا يحتاج "لخبير حلواني" كى يفرق لنا بين "الرقاق بالعسل" و "القطائف بالزيت"، وإن كان كلا النوعين من الحلويات، إلا أن المكونات تختلف تماماً.

وليس أمامنا إلا أن نجزم بأن هذه العبارة أو تلك إنما هي من الإضافات التأويلية لتوضيح معنى المن، وكتبهما شخصان مختلفان في تذوق الأطعمة.

ونفس الاختلاف التأويلي نجده في وصف طعم "السلوى" فهى في سفر الخروج ٤/١٦ "شئ دقيق مثل قشور. دقيق كالجليد على الأرض"

وهى في سفر العدد ١١ / ٣٢ - ٣٢ "فقام الشعب كل ذلك النهار وكل الليل وكل يوم الغد وجمعوا السلوى. الذى قلّل جمع عشرة حوامر وسطحوها لهم مساطح حوالى المحلة. وإذ كان اللحم بعد بين أسنانهم قبل أن ينقطع حمى غضب الرب على الشعب".

فلم يكن هناك من أكل سوى المن، وقد عرفنا طعمه، والسلوى. وهذه السلوى لا نعرف بالضبط كنهها لان الخلاف هنا شديد. فالقشور التي تشبه الدقيق، لا يمكن أن تكون نوعاً من أنوا ع اللحم.

وليس أمامنا أيضاً إلا أن نجزم بأن هذا الوصف الوارد للسلوى - في العبارتين - هو من تأويلات كتبة النصوص.

ومن قبيل تلك التحريفات كذلك نجد ما يلي:

"إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدا له بنين المحبوبة والمكروهة. فإن كان الابن البكر للمكروهة. فيوم يقسم لبنيه ما كان لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر. بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية" سفر التثنية ٢١/١٥ - ١٧.

هذا القانون الرباني الوارد في سفر التثنية، لم يطبقه أصحاب التوراة في أكثر من حالة من حالات كتابهم المقدس. فقد حرفوا النصوص "تطبيقاً" حين نزعوا البكورية عن اسماعيل، بكر إبراهيم، وتحايلوا في نزع بكورية عيسو ومنحها ليعقوب.

كما تحالف النبى ناثان مع "بثشبع" أم سليمان من أجل حرمان "أدونيا" بن داود من زوجه "حجيث" وهو أحق، لبكورته عن سليمان، وتمليك سليمان بدلاً منه. إن حرمان اسماعيل من حق البكورية، ونزعها بالتحايل من عيسو، واغتصاب هذا الحق من أدونيا هو من قبيل تحليل "الحرام" الذى نص عليه الشاهد السابق من سفر التثنية، وهو دليل جديد يضاف إلى قائمة التحريفات.

ومن هذه التحريفات نسوق ما جاء في سفر التثنية ١٣-٦-١٠ :

"وإذا أغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها. فلا ترض منه ولا تسمح له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلاً تقتله. يدك تكون عليه أولاً لقتله ثم أيدى جميع الشعب أخيراً، ترجمه بالحجارة حتى يموت".

لكننا لا نجد صدى لتطبيق ما سبق ونحن نقرأ في سفر الملوك الأول ١١ / ١ - ٣١ ما فعله سليمان من محرمات تستوجب تطبيق الحكم الإلهى السابق.

فقد أحالت النساء قلب سليمان وراء الآلهة الأخرى.

وذهب سليمان وراء عشتورت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين.

وبنى سليمان مرتفعة لكموش رجس المؤابيين ولمولك رجس بنى عمون.

ولم يحفظ سليمان ما أوصى به الرب.

أليس هذا من التحريف الذي بين نوعه الطبرى في تفسيره؟!.

وأخيراً، بقى لنا أن نشير إلى أن العهد القديم ذاته قد أقر بتحريف بنى إسرائيل: أنبياء وكهنة وعامة، لكلام الله ووحيه. وهاهى فقرات سفر إرميا الفريدة التي تسجل لنا "تهمة التحريف" في "الصحيفة الجنائية" لبني إسرائيل، وما أكثر ما فيها من جرائم!

"وإذا سألك هذا الشعب أو نبي أو كاهن قائلاً ما وحى الرب فقل لهم أى

وحى. إني أرفضكم هو قول الرب. فالنبى أو الكاهن أو الشعب الذي يقول وحى الرب أعاقب ذلك الرجل وبيته. هكذا تقولون الرجل لصاحبه والرجل لأخيه بماذا أجاب الرب وماذا تكلم به الرب. أما وحى الرب فلا تذكروه بعد لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرفتم كلام الإله الحى رب الجنود إلهنا". إرميا ٢٣/٢٣ - ٣٦.

كما نسوق نصاً فريداً آخر يشهد بصورة من صور التحريف تتمثل في "الحذف" الذي يخل بالمعنى، إذ جاء في آخر فقرة من الإصحاح السادس من سفر زكريا ما يلي:

"ويكون إذا سمعتم سمعاً صوت الرب إلهكم".

هكذا ينتهى الإصحاح بأداة الشرط وفعل الشرط، بينما حذف الجواب.

فهل بعد ذلك دليل على صدق المصطلح القرآني ومطابقته لحال بنى إسرائيل وموقفهم من وحى الله وكلامه؟!

٢.مصطلح اللبس:

قال تعالى : **﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾** البقرة: ٤٢، وقال تعالى : **﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾** آل عمران: ٧١.

ولفظ اللبس من مادة لبس. يقال لبس عليه الأمر - لبساً : خلطه عليه حتى لا يعرف حقيقته.[١]

١- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط ٢ ، جـ ١ / ٨١٣ .

واللَبس واللِبس اختلاف الأمر ... والتبس عليه الأمر أى اختلط، والتلبيس كالتدليس والتخليط.[١]

ولبس عليه الأمر بمعنى عماه عليه وجعله مشكلاً مدعاة إلى الشك والحيرة.[٢]

أما في علاقة بنى إسرائيل واللبس، فقد قال الخازن: "ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم.[٣]

ومعنى اللبس هو الخلط ويكون بمعنى الاشتباه، إما بالاشتراك أو الحقيقة والمجاز.[٤] وإلى نحو ذلك ذهب أبو السعود في تفسيره حيث قال: واللبس الخلط، وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين، والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه أحدهما بالآخر، أو لا تجعلوا الحق ملتبساً بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه أو تذكرونه في تأويله.[٥]

وقد يكون اللبس من اللباس، وقد قيل هذا في معنى آية البقرة أى لا تغطوا بالباطل،[٦] وقال الألوسي نحوه في تفسير آية آل عمران.[٧]

---

١ ـ لسان العرب ٦/٢٠٤ .
٢ ـ مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠ ، المجلد ٢/٥٦٣ .
٣ ـ لباب التأويل ١/٥٣ .
٤ ـ روح المعاني ١/٢٤٦ .
٥ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١/٩٦ .
٦ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٣٤٠ .
٧ ـ روح المعاني ٣/١٩٩ .

وذهب الطبرسي في تفسيره إلى أن اللبس والتغطية والتعمية نظائر، والفرق بين التغطية والتعمية أن التغطية تكون بالزيادة والتعمية قد تكون بالنقصان والزيادة. وضد اللبس الإيضاح، واللباس ما واريت به جسدك، ولباس التقوى الحياء، واللبس خلط الأمور بعضها ببعض، والفعل لبس الأمر يلبس لبساً، ولبس الثوب يلبسه لبساً، والفرق بين اللبس والإخفاء أن الإخفاء يمكن أن يدرك معه المعنى، ولا يمكن مع اللبس إدراك المعنى، والإشكال قد يدرك معه المعنى إلا أنه بصعوبة لأجل التعقيد.[١]

وقد وسع السيد محمد رشيد رضا من معنى اللبس في تفسيره لآية البقرة فجعل من ضروبه الإيهام والكتمان والافتراء وإدخال المحدثات والتقاليد على الأصول وكذلك التأويل والاستنباط من كلام بعض المتقدمين وأفعالهم.[٢]

وفي رأينا أن كل هذه المعاني بالفعل تؤدى إلى اللبس، أو الخلط بين الأمور.

ويرى الرازى في تفسير آية البقرة أمراً بترك الإغواء والإضلال، وبيّن لنا أن الإضلال لا يحصل إلا بطريقين: تشويش الدلائل الموصلة إلى الحق، ومنع المرء من الوصول إلى هذه الدلائل. فقوله تعالى **﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾** إشارة إلى طريق تشويش الدلائل، وقوله تعالى **﴿ولا تكتموا الحق﴾** إشارة إلى منع الوصول إلى الدلائل.[٣]

فإذا أخذنا بعض معاني اللبس من اختلاط الحق بالباطل والافتراء وإدخال المحدثات والتقاليد على الأصول، فبإمكاننا أن نجد نماذج لذلك فيما يلي:

---

١ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٩٥/١ .
٢ ـ تفسير المنار ٢٩٢/١ .
٣ ـ التفسير الكبير للرازي ٣٢٤/١ .

١ـ الملائكة تأكل:

جاء في سفر التكوين:

"وظهر له (لإبراهيم) الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ..... ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي عمله ووضع قدامهم وإذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا" ١٨ / ١ ـ ٩

وهؤلاء الثلاثة هم الملائكة الذين بشروا سارة ـ زوج إبراهيم ـ بولادة إسحق عليه السلام.

"فجاء الملاكان إلى سدوم وكان لوط جالساً في باب سدوم. فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض وقال يا سيديّ ميلا إلى بيت عبدكما وبيتا واغسلا أرجلكما ثم تبكران وتذهبان في طريقكما. فقالا لا بل في الساحة نبيت. فألح عليهما جداً. فمالا إليه ودخلا بيته فصنع لهما ضيافة وخبز فطيراً فأكلا". ١٩/١ – ٣ .

٢ـ الملائكة تتزوج:

جاء في سفر التكوين أيضاً :

"وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولدوا لهم بنات. أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات ـ فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا ... وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنوالله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم". ٦/١ – ٤ .

وأبناء الله هم الملائكة: فقد جاء في سفر أيوب ٦/١ :

"وكان ذات يوم أن جاء بنوالله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم".

فتصوير الملائكة ووصفهم بصفات البشر ليس إلا أحد أنواع اختلاط الحق بالباطل والافتراء وإدخال المحدثات.[١]

٣ـ الزنا بالمحارم:

تحرم التوراة الزنا تحريماً قاطعاً وواضحاً على نحو ما ورد في الوصايا العشر: "لا تزن" خروج ٢٠/١٥ ، بل إن مجرد التفكير في امرأة الغير يعد من المحرمات كذلك: "لا تشته امرأة قريبك" خروج ٢٠/١٧

ومع ذلك تقص علينا الأسفار المقدسة حالات عديدة من الزنا، وأفظعها تلك الواقعة مع المحارم. ولن نذكر تلك القصة الشهيرة بين ابنتى لوط وأبيهما والواردة في سفر التكوين ١٩/٢٠ ـ ٢٨، فقد كانت قبل تحريم التوراة للزنا وقبل ظهور بني اسرائيل، وإن كانت تدخل بالطبع تحت قائمة المفتريات والمحدثات ولبس الحق بالباطل، ولكننا سنذكر هنا حالات أخرى سجلتها لنا الأسفار:

أ ـ ابن يعقوب يزني بزوجة أبيه وأم اخوته:

"ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عدر. وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه .. وسمع اسرائيل" التكوين ٣٥/٢١ ـ ٢٢

---

١ ـ زعم أصحاب السنن القويم أن "أبناء الله" ليسوا الملائكة، ولكنهم تغاضوا عن فقرة سفر أيوب، وإذا أخذنا برأيهم في أن عبارة أبناء الله تعنى البشر، فكيف مثل أبناء البشر أمام الله وفي وسطهم الشيطان.

انظر : السنن القويم، المجلد الأول، شرح سفر التكوين.

ب ـ زنا أمنون بن داود باخته ثامار:

"ثم قال أمنون لثامار ايتي بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك ... وقدمت له ليأكل فأمسكها وقال لها تعالى اضطجعي معي يا أختي ... فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها" صموئيل الثاني ١٣/١٠ ـ ١٥

جـ ـ زنا أبشالوم بن داود بسراری أبيه :

"فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم إلى سراری أبيه أمام جميع إسرائيل" صموئيل الثاني ١٦/٢٢

ومن الغريب أن هذه الحوادث قد وقعت من أبناء يعقوب وداود، وهما العمودان اللذان تعتمد عليهما اليهودية في شرائعها، وتعتمد عليهما إسرائيل في وجودها.

ونحن لا نقر بصدق ما يروى في حق أبناء الأنبياء، لأنهم ـ وإن كانوا بشراً ـ فإنهم قد تربوا على أيدى آبائهم، وفي بيوت شهدت الوحى الصادق.

٤.خداع يعقوب:

لا شك أن نظرة اليهود وكتابهم المقدس إلى الأنبياء تختلف عن تلك النظرة الإسلامية التي ترى عصمتهم من الكبائر، بل ومن الصغائر أيضا[1]، بل إن اليهود يرون في يعقوب ـ عليه السلام ـ أحد الأباء، وفي داود ـ عليه السلام ـ ملكاً من الملوك.

---

١ ـ حول هذه القضية انظر: محمد جلاء ادريس، العقيدة : أصولها التاريخية وأسسها الإسلامية، المركز القومي للدراسات العربية والإسلامية، الجيزة، ١٩٩٢، ص : ٤٣ ومابعدها.

حتى لو كان يعقوب التوراتي ليس نبياً ولا مرسلاً ، فاننا نرى تمجيداً له من الرب ومباركة له في أفعاله، واختياراً له من بين البشر جميعاً، وكأن الرب يبارك الخداع ويرضاه سنة للبشر جميعاً.

فهو - أعني يعقوب - شخصية نمت وترعرعت على اغتصاب حقوق الآخرين بالتحايل والخداع. جاء في سفر التكوين ٢٧ / ١-٣٨ قصة اتفاق يعقوب مع أمه ضد أخيه شقيقه - عيسو - والتنكر واستغلال ضعف نظر الأب - اسحق - وأخذ البركة الإلهية منه، مع أن البركة من نصيب عيسو البكر.

فيعقوب التوراتي قبل عملية التحايل، وكذب على أبيه حين زعم أنه عيسو - "فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك" ١٩/٢٧، وأصر على هذا الكذب "وقال (اسحق) هل أنت هو ابني عيسو فقال (يعقوب) أنا هو" ٢٥/٢٧، ويعترف الأب بخداع يعقوب له فيقول لعيسو: "قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك" ٢٦/٢٧

ولا نعلم أين كان الرب وقتذاك، وكيف يرتضى أن تمنح بركته وعهده لمخادع، إلا أن تكون القصة كلها من باب "التلبيس" وخلط الحق بالباطل والافتراء على يعقوب عليه السلام.

وقبل هذه الحادثة بقليل رأينا أيضاً استغلال يعقوب لجوع أخيه عيسو وشراء "بكوريته" منه بلقمة عيش وطبخة عدس (التكوين ٢٤/٢٥) مع أن "البكورية" ليست مما يباع ويشترى.

وتواصل شخصية يعقوب التوراتية خداعها، ويقص علينا سفر التكوين[١]

---

١ - انظر سفر التكوين ٣٠/٢٥ - ٤٣؛ ١/٣١ - ١٧ .

كيف خدع يعقوب خاله وحميه لابان واستولى على غنمه وهرب، بل زعم يعقوب أنه أمر من قبل الرب بهذا الخداع، فيقول لزوجيه: "فقد سلب الله مواشي أبيكما وأعطاني" (التكوين ٣١/٩)، وكل ما فعله إنما جاء به ملاك الله في الحلم وأمره به (التكوين ٣١/١١)

حتى في صراعه مع الرب (التكوين ٣٢/ ٢٢ ـ ٢٩)، فإن يعقوب لا يترك الرب دون أن "يجبره" على مباركته:

"قال (الرب في صورة انسان) اطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال لا أطلقك إن لم تباركني. فقال له ما اسمك. فقال يعقوب، فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك . فقال لماذا تسأل عن اسمي. وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل: قائلا لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي"

هل يمكن أن يكون من الحق المنزل أن يصارع يعقوب ربه، بل ويرجوه الرب أن يطلقه قبل الفجر، ويقدر يعقوب على ربه، في هذه "المصارعة"، ويستحق نتيجة كل هذه الحيل والخدع أن يبارك من قبل الرب ؟!

أليس هذا من اللبس؟

٣. مصطلح التبديل:

قال تعالى في شأن بني اسرائيل : **﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾** البقرة: ٤٩,

والتبديل على نحو ما جاء في القاموس المحيط هو التحريف والتغيير. يقال: بدّله تبديلاً حرفه، وتبدل تغير.[١]

ويقال بدّلت الشيء إذا غيرته، وإن لم تأت له ببديل.[٢]

وبدّل الشئ: غيّر صورته، ويقال بدل الكلام: حرّفه.[٣]

وفي تفسير هذه الآية الكريمة يلفت القرطبي انتباهنا إلى نوع التبديل من ناحية، وإلى خطورته رغم قلة حجمه من ناحية أخرى فيقول: وذلك أنه قيل لهم: قولوا حطة فقالوا حنطة على ما تقدم فزادوا حرفاً في الكلام فلقوا من البلاء مالقوا، تعريفاً أن الزيادة في الدين والابتداع في الشريعة عظيمة الخطر وشديدة الضرر. هذا في تغيير كلمة هي عبارة عن التوبة، أوجبت كل ذلك العذاب، فما ظنك بتغيير ما هو من صفات المعبود. هذا والقول أنقص من العمل، فكيف بالتبديل والتغيير في الفعل.[٤]

ثم يضيف: وتبديل الشيء أيضاً تغييره وإن لم يأت ببدل.[٥]

ويذهب المراغي إلى أن التبديل هنا هو مخالفة الأمر وعدم اتباعه، وقد جعل المخالفة تبديلاً إشارة إلى أن الذي يؤمر بالشئ فيخالفه كأنه أنكر أنه أمر به وادعى أنه أمر بغيره.[٦]

---

١ ـ القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣/٣٣٣ .
٢ ـ معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، طهران، ١٤٠٤هـ، ١/٢١٠ .
٣ ـ المعجم الوسيط ١/٤٤ .
٤ ـ الجامع لأحكام القرآن ١/٤١٥ .
٥ ـ المصدر السابق، ص ٤١٦ .
٦ ـ أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، البابي الحلبي، القاهرة، ط٤، ١٩٦٩، ١/١٢٤ .

ومن ثم فالتبديل يشمل تغييراً في القول أو الفعل.

وإذا أردنا أدلة على التبديل اليهودي للتوراة قولاً وفعلاً فالعهد القديم حافل بذلك.

فلو أخذنا بمعنى التبديل المتمثل في إحلال كلمة محل أخرى، فهاك نماذجه: ورد في سفر صموئيل الثاني ١٢/٢٤ ـ ١٣ ما يلي:

"اذهب وقل لداود هكذا قال الرب. ثلاثة أنا عارض عليك فاختر لنفسك واحداً منها فأفعله بك. فأتى جاد إلى داود وأخبره وقال له أتأتي عليك سبع سنى جوع في أرضك أم تهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك وهم يتبعونك أم يكون ثلاثة أيام وباء في أرضك"

وورد في سفر أخبار الأيام الأول ١١/٢١ ـ ١٢ ما يلي:

"اذهب وقل لداود هكذا قال الرب اقبل لنفسك إما ثلاث سنين جوع أو ثلاثة أشهر هلاك ..."

ففى النص الأول نجد سبع سنين جوع، وفي الثاني ثلاث سنين، فأحد النصين قد استبدل عدد السنوات بعدد آخر.

ورد في سفر أخبار الأيام الأول ٦/٧ مايلي:

"لبنيامين بالع وباكر ويديعئيل. ثلاثة"

وفي نفس السفر نجد في الفقرة الأولى من الإصحاح الثامن:

"وبنيامين ولد بالع بكره وأشبيل الثاني وأخرح الثالث ونوحة الرابع ورافا الخامس"

أما في سفر التكوين ٤٦/ ٢١ فأولاد بنيامين عشرة وهم:

"وبنو بنيامين بالع وباكر وأشبيل وجيرا ونعمان وإيحى وروش ومقيم وحفيم وأرد"

فالتبديل وقع في الأسماء، ووقع في الأعداد.

هل كان أبناء بنيامين ثلاثة أم خمسة أم عشرة؟

وما هي أسماؤهم بالضبط؟

وهل العشرة الأخيرة تشمل الأبناء وحسب أم الأحفاد كذلك؟

الله أعلم.

ونجد نوعاً آخر من التبديل، يتمثل في "تبديل خط السير" من سفر لآخر. فقد ورد في سفر التثنية ما يلي:

"وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبار بنى يعقان إلى موسير. هناك مات هارون ودفن. فكهن العازار ابنه عوضاً عنه، ومن هناك ارتحلوا إلى الجدجود ومن الجدجود إلى يطبات أرض أنهار وماء" ١٠/٦ ـ ٧ .

بينما ورد في سفر العدد عن الرحلة ذاتها:

" ... ثم ارتحلوا من حشمونة ونزلوا في مسيروت ثم ارتحلوا من مسيروت ونزلوا في يعقان. ثم ارتحلوا من بنى يعقان ونزلوا في حور الجدجاد ثم ارتحلوا من حور الجدجاد ونزلوا في يطبات ... ثم ارتحلوا من قادش ونزلوا في جبل هور في طرف أدوم فصعد هارون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك" ٣٣/ ٣٠ ـ ٣٨.

فهناك تبديل في خطر سير الرحلة.

وهناك استبدال لمحل وفاة هارون.

والله أعلم.

وعلى غرار التبديل الذي أشار إليه القرطبي في حطة وحنطة، نجد في سفر الملوك الأول ١/١٨ مايلي: "والآن ياسيدى الملك لا تعلم"

ويرى النقاد ـ على نحو ما جاء في الترجمة السبعينية والفولجاتا اللاتينية وغيرها تعديل كلمة "والآن" إلى "وأنت" لأن وجود الضمير "أنت" ضروري لتأكيد تغيير الموضوع في العبارة الثانية من الفقرة بمقابلته بما ورد في العبارة الأولى من نفس الفقرة وهو "والآن هوذا أدونيا قد ملك"[1]

بقى أن نشير هنا إلى أن الفارق بين "والآن" و "وأنت" في العبرية هو حرف واحد (عتّا، أتّاَ).

كما جاء في سفر الملوك الأول ٥/٤:

"وعزرياهو بن ناتان"

وترى الترجمة السبعينية وترجمة لوسيان أن اسم عزرياهو هو "بديل لاسم أدونياهو، إذ لم يرد اسم عزرياهو في أى مكان آخر.[2]

١ـ Burney, C., Notes on the Books of Kings, Oxford, 1903, pp. 6-7
نقلاً عن أحمد عيسى الأحمد، داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم ـ دراسة لغوية تاريخية مقارنة، الكويت، ١٩٩٠، ص : ٢١١ .

٢ـ المرجع السابق، ص : ٢١٦ .

ولو نظرنا للتبديل من زاوية أخرى، تبديل الشرائع والأحكام، فلنا الدليل في أخبار الأيام الثاني ٣٠/٢ :

"فتشاور الملك ورؤساؤه وكل الجماعة في أورشاليم أن يعملوا الفصح في الشهر الثاني لأنهم لم يقدروا أن يعملوه في ذلك الوقت ... فحسن الأمر في عينى الملك"

وفي نفس السفر ٣٠/٢٣ نجد أيضاً:

"وتشاور كل الجماعة أن يعملوا سبعة أيام أخرى فعملوا سبعة أيام بفرح".

لقد أباح الملك وبطانته لأنفسهم تبديل موعد عيد الفصح.

كما أباحوا لأنفسهم تغيير فترة العيد ومضاعفتها إلى أسبوعين بدلاً من أسبوع واحد.

وهكذا ينطبق على ذلك النموذج مصطلح التبديل من أحد جوانبه.

ومن أدلتنا المستقاة من التوراة ذاتها على التبديل اللفظى ما جاء في سفر التكوين ٢٩/١ ـ ٨ ونصه:

"ثم رفع يعقوب رجليه وذهب إلى أرض بنى المشرق. ونظر وإذا في الحقل بئر وهناك ثلاثة قطعان غنم رابضة عندها لأنهم كانوا من تلك البئر يسقون القطعان. والحجر على فم البئر كان كبيراً. فكان يجتمع إلى هناك جميع القطعان فيدحرجون الحجر عن فم البئر ويسقون الغنم..... فقالوا لا نقدر حتى تجتمع جميع القطعان ويدحرجوا الحجر عن فم البئر ثم نسقى الغنم"

وأغلب ظننا أن هناك تبديلا في عبارة "فكان يجتمع إلى هناك جميع

القطعان" وعبارة "لا نقدر حتى تجتمع جميع القطعان"، واللفظ الصواب هو "الرعاة" بدلاً من لفظ "القطعان" في العبارتين السابقتين.

ويؤكد ظننا هذا أن لفظ "الرعاة" موجود بالفعل في التوراة السامرية بدلاً من لفظ "القطعان" في العبارتين.[1]

ومن تبديل الألفاظ أيضاً ما جاء في التوراة العبرية وفي سفر أخبار الأيام الأول ٣٥/٩ : "وفي جبعون سكن أبو جبعون يعوئيل وأخته اسمها معكة"

والصحيح على نحو ما ذكر آدم كلارك[2] أن يكون لفظ "الزوجة" بدل "الأخت" وقد صحح هذا البدل في التراجم اليونانية واللاتينية والسريانية، وبالطبع في الترجمة العربية التي بين أيدينا، إذ هي عن الترجمة اليونانية.

وفي سفر التثنية ١/٢٧ ـ ٤ يوصى موسى شعبه بأن يكتبوا الوصايا التي يوصيهم بها على حجارة تقام بعد عبورهم الأردن في جبل عيبال:

"حين تعبرون الأردن تقيمون هذه الحجارة التي أنا أوصيكم بها اليوم في جبل عيبال" .

لكن التوراة السامرية، وفي سفر التثنية كذلك ١/٢٧ ـ ٤، تقص علينا ذات القصة مع اختلاف واضح:

---

١ ـ التوراة السامرية، ترجمة: أبو الحسن اسحق الصورى، دار الأنصار، القاهرة، سفر التكوين ٣/٢٩، ٨

٢ ـ رحمة الله خليل الرحمن هندى، اظهار الحق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت، جـ١، ص : ٢٠٨ .

"ويكون عند عبوركم الأردن تقيمون الحجارة هذه التي أنا موصيكم اليوم في جبل جرزيم"

فهل للجبل اسمان، أم أن في أحد النصين السابقين "تبديلاً"؟!

لقد حل سفر التثنية لنا هذا السؤال، ففي الإصحاح السابع والعشرين أوصى موسى فريقاً من الشعب بالوقوف على جبل جرزيم ١٢/٢٧ وفريقاً آخر بالوقوف على جبل عيبال ٢٧/١٣ .

وخشية أن نضل في فهم النص وإقرار التبديل، يؤكد لنا سفر التثنية ٢٩/ ١١ على أن الجبلين مختلفان:

"وإذا جاء بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها فاجعل البركة على جبل جرزيم واللعنة على جبل عيبال"

إذن، لا بد أن ثمة "تبديل" قد وقع سواء أفي التوراة السامرية أم في التوراة الربانية الشائعة، وفي كلتا الحالتين يصدق المصطلح القرآني فيما يتعلق بنقد التوراة.

ومن أكثر الأدلة على "التبديل" في العهد القديم ما يتعلق بالأرقام والأعداد، إذ تبدو بوضوح "ضعف الذاكرة الحسابية" عند كتّاب التوراة على عكس ما عُرف عن اليهود من "براعة" في الحسابات، وأقدم هنا بعض هذه النماذج دون حصر لها :

١ ـ فترة بقاء بني إسرائيل في مصر هي (٤٠٠) سنة في التكوين ١٠/١٣ وهي في الخروج ١٢/٤٠ ارتفعت إلى (٤٣٠) سنة بزيادة قدرها ثلاثون عاماً.

٢ ـ استمر الطوفان في التكوين ٧/١٧ لمدة (٤٠) يوماً. وفي التكوين أيضاً ٧/٢٤؛ ٨/٣ استمر الطوفان (١٥٠) يوماً.

٣ ـ مجموع رجال بنيامين المحاربين في سفر القضاة ٢٠/١٤ (٢٦٠٠) رجل، بينما عدد القتلى من رجال بنيامين في نفس السفر والإصحاح (٤٥،١٠٠) قتيل ولا نعلم حلاً لهذه المسألة.

٤ ـ وثمن بيدر أرونه الذي اشتراه داود في صموئيل الثاني ٢٤/٢٤ (٥٠) شاقلاً، وفي أخبار الأيام الأول ٢١/٢٦ زاد الثمن إلى (٦٠٠) شاقل.

٥ ـ وكانت نتائج التعداد في صموئيل الثاني ٢٤/٩ مايلي: إسرائيل (٨٠٠٠٠٠) رجل، ويهودا (٥٠٠٠٠٠) رجل.

ويبدو أن ثمة "تلاعب" قد وقع في نتائج التعداد، إذ نراه في أخبار الأيام الأول ٢١/٥ مايلي : إسرائيل (١٠٠٠٠٠٠) رجل ويهودا (٤٧٠٠٠٠) رجل.

٦ ـ أعداد العائدين من السبى إلى أورشاليم والواردة في الإصحاح الثاني كله من سفر عزرا تختلف كثيراً عما جاء بشأن هذه الأعداد في نحميا، في الإصحاح السابع كله.

٤. مصطلح الكتابة:

قال تعالى في الحديث عن صفات اليهود والإخبار عن أعمالهم: **﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾** البقرة: ٧٩

يقول الطبرى في تفسير هذه الآية الكريمة : يعني بذلك الذين حرفوا كتاب

الله من يهود بنى إسرائيل وكتبوا كتاباً على ما تأولوه من تأويلاتهم مخالفاً لما أنزل الله على نبيه موسى صلى الله عليه وسلم، ثم باعوه من قوم لا علم لهم بها ولا بما في التوراة جهال بما في كتب الله لطلب عرض من الدنيا خسيس، فقال الله لهم : فويل لهم مما كتب أيديهم وويل لهم مما يكسبون.[١]

ثم يشير الطبري إلى قوله تعالى ﴿**بأيديهم**﴾ ودلالة ذلك في سبق الإصرار والعمد للكذب على الله ثم تنحله إلى أنه من عند الله وفي كتاب الله تكذباً على الله وافتراء عليه، فنفى جل ثناؤه بقوله (يكتبون الكتاب بأيديهم) أن يكون ولى كتابة ذلك بعض جهالهم بأمر علمائهم وأحبارهم.[٢]

وقد روى السيوطى في تفسيره رواية أخرجها ابن أبي حاتم عن السدى في الآية قال: كان ناس من اليهود يكتبون كتاباً من عندهم ويبيعونه من العرب ويحدثونهم أنه من عند الله فيأخذون ثمناً قليلاً.[٣]

وأكبر ظنى أن المقصود من الكتابة هنا هو أحد شيئين:

الأول : وهو التوراة ذاتها، إذ أن نصوصها تثبت أن هناك كتبة قاموا بتحريرها، وسنسوق الأدلة على ذلك.

الثاني : وهو التلمود إذ يزعم اليهود أن موسى تلقى توراة مكتوبة وأخرى شفوية. وقد تناقل الأحبار هذه التوراة الشفوية حتى تم تدوينها.

وفيما يتعلق بكتابة اليهود للتوراة فالأمر هين الإثبات بالأدلة المستقاة من

---

١ ـ جامع البيان ٣٧٨/١ .
٢ ـ المصدر السابق .
٣ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطى ٨٣/١ .

النصوص ذاتها، تلك النصوص التي تتضارب فيما بينها بشأن عملية الكتابة هذه.

فسفر الخروج يوضح لنا تلقى موسى التوراة مشافهة من الرب ثم تلاها على قومه وأخذ منهم العهد على اتباعها وبعد ذلك كتبها:

"فجاء موسى وحدّث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام، فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل. فكتب موسى جميع أقوال الرب". خروج ٢٤/٣ ـ ٤

ثم نجد في موضع آخر من سفر الخروج ٢٤/١٢ مايلي:

"وقال الرب لموسى اصعد إليّ إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم".

وفي موضوع ثالث من نفس السفر نجد هذه الفقرة:

"ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحى الشهادة، لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله" ,٣١/١٨

ولو سلمنا جدلاً بصحة هذه النصوص، فيمكن أن نستخلص منها مايلي:

أولاً : لا يعقل أن يشتمل لوحا الرب على كل ما لدينا الآن من أسفار في العهد القديم والتي تحتاج إلى آلاف الألواح.

ثانياً : يمكن أن يكون موسى ـ عليه السلام ـ قد كتب تفصيل الوحى الإلهى الذي تلقاه، بنفسه أو عن طريق كتبة آخرين.

ثالثاً : هناك كتبة آخرون استكملوا كتابة الأحداث التاريخية التي وقعت

بعد وفاة موسى عليه السلام وأضافوا ما أضافوه إلى الروايات السابقة، وحذفوا ما حذفوا.

وتأكيداً على صدق المصطلح النقدى القرآنى الذي اتهم اليهود بكتابة كتبهم المقدسة ونسبها إفكاً وبهتاناً لله وهى ليست له، نسوق الأدلة التالية من العهد القديم:

جاء في سفر التكوين مايلي:

١ ـ "ولما كان عيسو ابن أربعين سنة اتخذ زوجة يهوديت ابنة بيرى الحثى وبسمة ابنة ايلون الحثى" ٣٤/٢٦

٢ ـ "فذهب عيسو إلى إسماعيل وأخذ محلة بنت إسماعيل بن إبراهيم أخت نبايوت زوجة له على نسائه". ٩/٢٨,

٣ ـ وأخذ عيسو نساءه من بنات كنعان. عدا بنت إيلون الحثى وأهوليبامة بنت صبعون الحوى وبسمة بنت إسماعيل أخت نبايوت. فولدت عدا لعيسو اليفاز. وولدت بسمة رعوئيل وولدت أهو ليبامة يعوش ويعلام وقورح" ٢/٣٦ ـ ٥ .

والنص الأول يقص علينا زواج عيسو من يهوديت ابنة بيرى الحثى وبسمة ابنة إيلون الحثى.

والنص الثاني يقص علينا زواج عيسو كذلك من محلة بنت إسماعيل.

لكن النص الثالث يخالف النصين السابقين، فعدا هى بنت ايلون الحثى وليست بسمة، وبسمة هى بنت اسماعيل وليست محلة.

والاستنتاج المؤكد هو أن كاتب النص الثالث يختلف عن كاتبى النص الأول والنص الثاني، ومن ثم فهناك كتبة سطروا بأيديهم هذا الكلام، ثم زعموا ـ وما زالوا على زعمهم ـ أنه من عند الله.

وقد وقع الكتبة في أخطاء ليس من المعقول أن تكون من عند الرب، ومن أمثلة ذلك مايلي:

١ ـ "وخافت القابلتان الله ولم تفعلا كما كلمهما ملك مصر واستحيتا الأولاد "خروج ١/١٧ .

ويقع الخطأ في الكلمة العبرية المقابلة لكلمة "استحيتا"، حيث تنتهى بالنون بينما سقطت الهاء من آخرها.

٢ ـ "وتقولون الرب إله العبريين التقانا" خروج ٣/١٨ .

ويقع الخطأ هنا في الكلمة العبرية المقابلة لكلمة "التقانا" إذ كتبت بالهاء في آخرها والمفروض أن تكتب بالألف.

٣ ـ "وكان إذا خافت القابلات الله وصنع لهم (لهن) بيوتاً" خروج ١/٢١
ويقع الخطأ في استخدام الضمير العبرى في حالة جمع الغائبين بينما الصحيح هو جمع الغائبات [١]

---

١ ـ نماذج عديدة من أخطاء الكتابة في :
Keil, C., Biblical Commentary on the Old Testament, Vo1. 2, Translated by Martin, U.S.A., 1965, p. 149 .

هناك إشارات عديدة إلى كتب أخرى لا نعرف مصيرها، تم نقل محتوياتها إلى العهد القديم، والنقل بالطبع يؤكد عملية الكتابة التي نسبها الله تعالى لليهود من خلال هذا المصطلح النقدي الذى نحن بصدده.

ضمن هذه الكتب على سبيل المثال مايلي:

١ - كتاب حروب الرب، وقد ذكر في سفر العدد ٢١/١٤ :

"لذلك يقال في كتاب حروب الرب واهب في سوقة وأودية أرنون"

٢ - سفر ياشر، وقد ذكر في سفر يشوع وفي سفر صموئيل الثاني:

"أليس هذا مكتوباً في سفر ياشر" يشوع ١٠/١٣

"هو ذا ذلك مكتوب في سفر ياشر" صموئيل الثاني ١/١٨

٣ - سفر أمور سليمان، وقد ذكر في الملوك الأول ١١/٤٢:

"وبقية أمور سليمان وكل ما صنع وحكمته أما هى مكتوبة في سفر أمور سليمان".

٤ - سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل، وقد ذكر في الملوك الأول ١٤/١٩:

"وأما بقية أمور يربعام كيف حارب وكيف ملك فإنها مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل".

٥ - سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا، وقد ذكر في الملوك الأول ١٤/٢٩:

"وبقية أمور رحبعام وكل ما فعل أما هى مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا".

٦ ـ سفر تذكار أخبار الأيام، وقد ذكر في سفر استير ٦/١ ـ ٢ :

"في تلك الليلة طار نوم الملك فأمر بأن يؤتى بسفر تذكار أخبار الأيام فقرئت أمام الملك. فوجد مكتوباً ما أخبر به مردخاى ...."

٧ ـ سفر أخبار الأيام لملوك مادى وفارس، وقد ذكر في استير ١٠ / ١ ـ ٢:

"ووضع الملك أحشويروش جزية على الأرض وجزائر البحر. وكل عمل سلطانه وجبروته وإذاعة عظمة مردخاى الذى عظمه الملك أما هى مكتوبة في سفر أخبار الأيام لملوك مادى وفارس".

٨ ـ أخبار ناتان النبى ونبوة أخيّا الشيلونى ورؤى يعدو الرائى وقد ذكرت في أخبار الأيام الثاني ٩/٢٩، وهى تضم بقية أمور سليمان.

وهكذا، فإن الأسفار المشار إليها آنفاً هى بمثابة "قائمة المصادر والمراجع" التى أخذ عنها كُتّاب العهد القديم، وهى تؤكد في نفس الوقت على أن اليهود قد كتبوا بأيديهم هذا الكتاب.

أما فيما يتعلق بالكتبة فلدينا أدلة صريحة على أشخاص معينين، بينما لم نستطع تحديد الآخرين.

فمن ثبت لدينا باليقين دورهم في الكتابة نجد هؤلاء:

١. يشوع

"وقطع يشوع عهداً للشعب في ذلك اليوم وجعل لهم فريضة وحكماً في شكيم. وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله". يشوع ٢٤/٢٥ ـ ٢٦

٢.صموئيل

"فكلم صموئيل الشعب بقضاء المملكة وكتبه في السفر ووضعه أمام الرب" صموئيل الأول ١٠/٢٥

٣.عزرا

"عزرا هذا صعد من بابل وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل" عزرا ٧/٦ .

"وهذه صورة الرسالة التي أعطاها الملك أرتحشتا لعزرا الكاهن الكاتب كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل من ارتحشتا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء الكامل إلى آخره "عزرا ٧/١١ ـ ١٢ .

٤.أستير أو من أناب عنها:

"وأمر أستير أوجب أمور الفوريم هذه فكتبت في السفر "أستير ٩/٣٢

أما الكُتّاب المجهولون، فيمكن أن نحدد دورهم فيما يلي:

١ ـ كاتب قصة موسى عليه السلام في سفر الخروج:

"وأيضاً الرجل موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر في عيون عبيد فرعون وعيون الشعب، وقال موسى هكذا يقول الرب .. خروج ١١/٣ ـ ٤

فليس من المألوف أن يتحدث المرء عن نفسه بهذا الأسلوب من ناحية، كما أنه لو كتب موسى هذا الكلام ما استخدم عبارة (وقال موسى) والتي تتكرر

كثيراً في هذا السفر، ناهيك عن صيغة الغائب المستخدمة دائماً في الحديث عن موسى، الأمر الذي يؤكد لنا أن هناك كاتباً لقصة موسى في سفر الخروج.

٢ ـ كاتب قصة موسى في سفر العدد :

"وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" العدد ١٢/٣٥ .

"فخرج موسى وكلم الشعب" العدد ١١/٢١

"وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها" العدد ١٢/١

"فأرسلهم موسى ليتجسسوا أرض كنعان" العدد ١٣/١٧

"فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام كل معشر جماعة بني اسرائيل" العدد ١٤/٥

والسفر كله يتحدث عن موسى على هذا النحو، بصورة تشير بلا أدنى ريب إلى أن كاتباً ما يكتب القصة، فتارة يمدح موسى، وتارة يتحدث عن أقواله، وثالثة يصف فيها أفعاله.

ولا نستطيع أن نؤكد إذا ما كان كاتب سفر العدد هو نفسه كاتب سفر الخروج أم أن هذا غير ذاك.

٣ ـ كاتب قصة موسى في سفر التثنية.

يحكى لنا الاصحاح الأخير (الرابع والثلاثون) من سفر التثنية أين مات

موسى، واللحظات السابقة على موته، وأين دفن، وماذا فعل بنو إسرائيل بعد موته، ولا يعقل أن يكتب موسى ما حدث بعد وفاته، والأرجح هو أن شخصاً ما قد قام بهذه المهمة.

ومما يؤكد زعمنا هذا مايلي:

"فمات هناك موسى عبد الرب .... ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم". التثنية ٦/٣٤ .

"لم يقم بعد نبى في إسرائيل مثل موسى ..." التثنية ١٠/٣٤

فالعبارة الأولى تفيد أن عملية كتابة أحداث وفاة موسى قد تمت بعد زمن من الوفاة، إذ لم يعرف إنسان قبر موسى منذ وفاته إلى هذا اليوم الذي تسجل فيه الأحداث كتابةً.

والعبارة الثانية تفيد أنه لم يقم في بنى إسرائيل منذ موت موسى وحتى كتابة هذه الفقرة نبى مثل موسى.

ومن أدلة الكتابة أيضاً تلك العبارات ذات الدلالة الواضحة على وقوع عملية الكتابة دون أدنى تردد أو شك.

فقد وردت عشرات المرات عبارة "إلى هذا اليوم" وهى تفيد وقوع فترة زمنية بين الحدث وبين تسجيله. وهذه العبارة غير قاصرة على سفر بعينه، إذ وردت في العديد من أسفار العهد القديم، ونسوق منها هذه النماذج المحدودة!

"فجعلها يوسف فرضاً على أرض مصر إلى هذا اليوم "التكوين ٢٦/٤٧

" كما فعل لبني عيسو الساكنين في سعير الذين أتلف الحوريين من قدامهم فطردوهم وسكنوا مكانهم إلى هذا اليوم" التثنية ٢/٢٤ (١)

"ونصب يشوع اثنى عشر حجراً في وسط الأردن ... وهى هناك إلى هذا اليوم" يشوع ٤/٩ (٢)

" ..... وبنى مدينة ودعا اسمها لوز وهو اسمها إلى هذا اليوم" القضاة ١/٢٦ (٣)

"لذلك لا يدوس كهنة داجون ... على عتبة داجون في أشدود إلى هذا اليوم" صموئيل الأول ٥/٥(٤)

"وجذبوا رؤوس العصى من القدس أمام المحراب ولم تر خارجاً وهى هناك إلى هذا اليوم" الملوك الأول ٨/٨ (٥)

وهناك عبارة أخرى لها ذات الدلالة نجدها في سفر أخبار الأيام الأول ٩/١٨ وهى :

"والبوابون شلوم وعقوب وطلمون وأخيمان واخوتهم شلوم الرأس. وحتى الآن هم في باب الملك إلى الشرق ..."

---

١ ـ انظر في نفس السفر وفي الاصحاح الحادى عشر، الفقرة رقم ٥ تجد نفس العبارة.

٢ ـ تكررت هذه العبارة في يشوع. ٧/٢٦ ؛ ٨/٢٨، ٢٩؛ ٩/٢٧؛ ١٠/٢٧؛ ١٣/١٣ ؛ ١٤/ ١٤؛ ١٥/٦٣؛ ١٦/١٠ .

٣ ـ انظر أيضا القضاة ٦/٢٤ ؛ ١٠/٤ ؛ ١٥/١٩؛ ١٨/١٣ .

٤ ـ انظر أيضاً صموئيل الأول ٦/١٨؛ ٢٧/٦؛ ٣٠/٢٥ وصموئيل الثاني ٤/٣ ؛ ٦/٨ ؛ ١٨/ ١٨ .

٥ ـ انظر أيضاً الملوك الأول ٩/١٣ ؛ ١٠/١٢ والملوك الثاني ٢/٢٢؛ ١٦/٦ .

فعبارة (حتى الآن) تفيد وجود فارق زمنى بين وقوع الحدث وبين كتابته، وأن الكاتب قد استخدم هذه العبارة، وسابقتها، للتأكيد على استمرار وقوع الحدث إبان عملية الكتابة.

ولا نعتقد أننا قد تجاوزنا المنهجية العلمية والموضوعية في نقدنا السابق لإثبات كتابة التوراة على أيدى أصحابها، فقد أكد روبرت دافيد سون على وقوع عملية الكتابة على أيدى يعقوب بن حاييم في نسخته العبرية التي نشرت لأول مرة عام ١٥٢٤ م حيث أعطى بن حاييم لنفسه "حق التحرير" دون بيان المبادئ التي اعتمد عليها في كتابة هذه النسخة التي اعتمد عليها كثيرون في ترجماتهم للعهد القديم . (١)

كما أشار دافيدسون إلى تلك الاختلافات الواضحة بين الترجمة السبعينية التي تمت قبل المسيحية وبين النص العبري التقليدي، وضرب لنا مثالاً لذلك بسفر إرميا، فالسبعينية ليست فقط أقصر من النص التقليدي، بل إن ترتيب السفر يختلف بداخله، وكذلك فيما يتعلق بسفر صموئيل.

لقد أدت وثائق البحر الميت إلى الوقوف على كثير من الاختلافات الواضحة في نصوص العهد القديم بين النسخ التي كانت سائدة قبيل المسيحية، وبين تلك المكتشفة في هذه الوثائق .

ويعتقد فرانك كروس أنه فيما بين القرنين الخامس والأول قبل الميلاد، تطورت ثلاث مدارس نصية محددة المعالم، بنيت على تقاليد مختلفة فيما يتعلق بنصوص العهد القديم وهى المدرسة الفلسطينية، والمدرسة المصرية

١- Robert Davidson, Biblical Criticism, Penguin Books, U.K., 1970, pp. 102 - 103 .

والمدرسة البابلية، وأشار كروس إلى اختلافات النصوص التوراتية بين هذه المدارس، وضرب لنا أمثلة بسفر ارميا والقضاة والملوك.[١]

وأخيراً، فلدينا نص من العهد القديم ذاته، هو من قول «الرب» يؤكد فيه حقيقتين هامتين وهما: أن الكتبة قد حولوا شريعة الرب وأن هؤلاء الكتبة كانوا كاذبين.

أما النص، فقد جاء في إرميا ٨/٨ : «كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا. حقاً إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب»

ولسنا بعد ذلك بحاجة إلى تعليق، **﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾**.

كما أن لدينا نصاً آخر في نفس السفر - سفر إرميا - يشهد "بالزيادة" في الكتابة: "فأخذ إرميا درجاً آخر ودفعه لباروخ بن نيريا الكاتب، فكتب فيه عن فم إرميا كل كلام السفر الذي أحرقه يهويا قيم ملك يهوذا بالنار وزيد عليه أيضاً كلام كثير مثله" ٣٦/٣٢ .

فالنص السابق يشير إلى كتابة سفر أملاه النبى إرميا وسطره الكاتب باروخ، ثم "زيد" على السفر مثله. وصيغة "زيد" تجعل الفاعل مجهولاً لدينا، فلا ندرى من الذي زاد كلاماً آخر إلى السفر: أهو إرميا ذاته، أم باروخ الكاتب، أم كاتب آخر غيرهما؟!

وتبقى دلالة النص حقيقة واقعة، وهى أن هناك زيادات كتبت على كلام النبى إرميا، لتشهد لنا بتمام مطابقة المصطلح القرآني على النص التوراتي.

١- Ibid, pp. 104 - 1061

٥.مصطلح القراطيس:

قال تعالى : **﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا أباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾** الأنعام : ٩١

يقول أبو السعود في تفسير الآية الكريمة السابقة : أي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم أو تجعلونه نفس القراطيس المقطعة، وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كأنهم أخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الخالية عن الكتابة. (١)

أما ابن كثير فيقول: أى تجعلون جملتها قراطيس أى قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصلى الذى بأيديكم وتحرفون منها ما تحرفون وتبدلون وتتأولون وتقولون هذا من عند الله.(٢)

ولكي نقف على خطورة ما تشير إليه الآية الكريمة ينبغى أن أشير إلى معنى القرطاس. ففى مادة "قرطس" في لسان العرب جاء: "القرطاس: الصحيفة، "ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس" أى في صحيفة "يجعلونه قراطيس" أى صحفا. وفي مادة "قس" بالقاموس المحيط نجد أن القرطاس هو الصحيفة من أى شيء كانت.

---

١ ـ ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ١٦١/٣ .

٢ ـ تفسير القرآن العظيم ١٥٦/٢ .

ويترتب على جعل كتاب اليهود المقدس في صحف، وهو بهذا الحجم، مع مراوغة اليهود وإبداء بعض هذه الصحف وإخفاء الكثير منها ما يلي:

أولاً : ضياع بعض هذه الصحف نظراً لكثرتها وتكرار عملية الإبداء والإخفاء.

ثانياً : اختلاف ترتيب بعض الأحداث الواردة في هذا الكتاب.

ثالثاً : إضافة بعض أجزاء من أسفار إلى أسفار أخرى.

وعلى هذا النحو يمكن تعليل كثير من التناقضات والاختلافات بل والتشابه الواقع في كثير من أسفار العهد القديم الحالي.

ومن نماذج اختلاف ترتيب الأحداث الناتج عن "إبداء" و "اخفاء" القراطيس ما نجده في سفر الخروج على النحو التالي :

ورد في الإصحاح الرابع، الفقرة التاسعة عشرة ما يلي :

"وقال الرب لموسى في مديان اذهب ارجع إلى مصر ـ لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك".

والمفروض أن تتقدم هذه الفقرة إلى الإصحاح الثاني بعد الفقرتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين ونصهما :

"وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات. وتنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية. فسمع الله أنينهم فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم واسحق ويعقوب".

ولكننا نرى فاصلاً من تفاصيل حياة موسى في مديان، يستمر قرابة الاصحاحين مما يوحي بعدم الترتيب - وهذا هو الأرجح في رأيي - أو تعدد الكتبة(١) أو تعدد المصادر التي ينتمي إليها السفر.(٢)

وفي الفقرة العشرين من الإصحاح السادس من سفر الخروج نجد ما يلي:

"وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له. فولدت له هارون وموسى"

وكان من الطبيعي وفق ترتيب الأحداث وتسلسلها أن تأتي هذه الفقرة في مقدمة الإصحاح الثاني من نفس السفر وبعد الفقرة الأولى التى جاء فيها :

"وذهب رجل من بيت لاوى وأخذ بنت لاوى"

أما سفر العدد فيقدم لنا صورة أخرى من صور الاختلاف الناتج عن إبداء وإخفاء القراطيس. فموضوعاته متشابكة وليس فيه تسلسل للأحداث، وقد لاحظ نقاد العهد القديم ذلك وعزوه إلى تعدد المصادر التي شاركت في كتابة السفر.(٣)

ويبدأ سفر العدد بتعداد لنسل يعقوب عليه السلام حتى فترة الوجود في سيناء، مع تحديد لرؤساء العشائر وتوزيع الرايات عليهم واختيار سبط لاوى للكهانة (من الإصحاح الأول إلى الإصحاح الرابع).

١- Benett, W., The Century Bible, Exodus, Oxford, Undated, p. 16.

٢- Oesterly and Robinson, Hebrew Religion, London, 1937, pp. 129 - 13 .

٣- Driver, S. An Introduction to the Literature of the Old Testament, New York, 1956, pp. 7 - 8.

ثم نجد بعض التشريعات الخاصة ببني إسرائيل نحو الملاعنة (الإصحاح الخامس) والنذور (الإصحاح السادس).

وينتقل سفر العدد إلى قضية أخرى حيث يصف لنا تدشين المذبح وأحداث القرابين وأنواعها ومقاديرها وأحجامها وطريقة صنع المنارة، وكيفية تطهير بنى إسرآئيل وأحكام الفصح بل وكيفية صناعة البوق لتجميع القوم (من الاصحاح السابع إلى العاشر).

بعد ذلك نجد عودة إلى أحوال بنى إسرائيل وترحالهم وتذمرهم على موسى وحياة البرية وغضب الرب، ثم مناجاة موسى لربه كي يصفح عنهم ثم إرسال موسى للجواسيس إلى أرض كنعان ومزايا الأرض الموعودة مع التركيز على "خصوصية" الرب و "خصوصية الشعب" (من الإصحاح الحادى عشر إلى الثامن عشر).

وعودة أخرى إلى التشريعات والأحكام تتخللها بعض القصص كقصة بلعام والتعبئة العسكرية وغيرها من الموضوعات إلى نهاية السفر.

ونسوق نموذجاً آخر للدلالة على عدم الترتيب، وهو ما نجده في سفر يشوع إذ ورد في الفقرة السابعة عشرة (الأخيرة) من الإصحاح الثالث ما يلي:

"فوقف الكهنة حاملو تابوت عهد الرب على اليابسة في وسط الأردن راسخين وجميع إسرائيل عابرون على اليابسة حتى انتهى جميع الشعب من عبور الأردن"

وواضح من نهاية الفقرة أن عبور الأردن قد تم بالفعل.

لكننا نجد في الإصحاح الرابع - أي بعد الفقرة السابقة - وفي الفقرتين الرابعة والخامسة ما يفيد بأن هذا العبور لم يتم حيث جاء ما يلي:

"فدعا يشوع الاثنى عشر رجلاً الذين عينهم من بنى إسرائيل رجلاً واحداً من كل سبط. وقال لهم يشوع اعبروا أمام تابوت الرب إلهكم إلى وسط الأردن"

والمفروض أن يكون مكان هاتين الفقرتين الأخيرتين قبل الفقرة الأولى، وقد تنبه بعض نقاد العهد القديم إلى هذا التناقض الموجود في مثل هذا الموضع وغيره فذهبوا إلى أن السفر لا يشكل وحدة واحدة،[1] وذهب آخرون إلى أن هذا السفر هو بمثابة امتداد للأسفار الخمسة السابقة له، وأن المصادر التي ساهمت في كتابة هذه الأسفار هي نفس المصادر التي استخدمها كتبة سفر يشوع.[2]

وكان من نتائج "التلاعب بالقراطيس"، ضياع كثير من الأسفار، ومنها ما ذكرته عند الحديث عن مصطلح الكتابة، والله وحده أعلم كم من الأسفار الأخرى قد اختفى.

١- Bentzen, Introduction to the Old Testament, Vo1. II, Second Edition, Copenhagen, 1942, p. 82.

٢- Driver, s., Op. Cit, p. 104 .

٦.مصطلح اللّى:

قال تعالى : **﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾** آل عمران: ٧٨

قد لا تكون الآية الكريمة السابقة خاصة باليهود وحدهم من أهل الكتاب وإنما هى تشملهم وتشمل النصارى كذلك، فالفريقان في "اللى" سواء، والآيات السابقة عليها تتحدث عن بعثة عيسى عليه السلام لبنى إسرائيل، ثم محاولة اليهود التقرب من إبراهيم، ثم بيان بعض أصناف من أهل الكتاب لا يتورعون عن إغماط الآخرين حقوقهم.

وعلى أية حال، فالواقع يثبت أن كلا الفريقين الكتابيين يميل إلى لىّ اللسان، أى تحريف الكتاب عن جهته والعدل به عن القصد وقد ذهب مجاهد وقتادة وابن جريج والربيع نحو ذلك، وقيل اللى هنا هو التفسير بخلاف الحق.[١]

واللّى هو الميل كما ذهب القرطبى في تفسيره للآية الكريمة إذ قال: "والمعنى يحرفون الكلم ويعدلون به عن القصد، وأصل اللى الميل، لوى بيده ولوى برأسه"[٢]

ووسّع ابن كثير من معانى اللى فقال في تفسير الآية السابقة ما يلي:

---

١ ـ الطبرى ٤٦٤/١ ـ ٤٦٥ .

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن ، ١٢١/٤ .

"إن منهم فريقاً يحرفون الكلم عن مواضعه ويبدلون كلام الله ويزيلونه عن المراد به ليوهموا الجهلة أنه في كتاب الله كذلك وينسبونه إلى الله وهو كذب على الله وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله. قال مجاهد والشعبي والحسن وقتادة والربيع بن أنس: يلوون ... يحرفونه، وهكذا روى البخاري عن ابن عباس أنهم يحرفون ويزيلون، وليس أحد من خلق الله يزيل لفظ كتاب من كتب الله لكنهم يحرفونه ويتأولونه على غير تأويله."[١]

وأصل اللى : الفتل والقلب، ومنه قول الشاعر: لوى يده الله الذى هو غالبه، ومن ثم فإن معنى الآية يفيد ضروباً عدة من التحريف والتبديل والكذب والافتراء والتأويل الفاسد الباطل، فما دام اللسان قد "التوى" فله أن يقول ما يشاء وأن يتوهم ما يشاء.

فإذا اعتبرنا أن هذا المصطلح النقدى يتعلق بمنطوق بعض الكلام، فلنا الدليل في أسفار العهد القديم، واختلاف بعض الألفاظ من موضوع لآخر.

فاللسان الذى نطق "أرونة اليبوسى" في صموئيل الثاني ١٦/٢٤، قد التوى وحرف الاسم إلى "أرنان اليبوسى" في أخبار الأيام الأول ١٥/٢١

وكاهن مدين ـ أب البنات الساقيات ـ هو "رعوئيل" في الخروج ١٨/٢ ، وقد قُلب اللسان قلباً تاماً في الخروج ١/٣ حيث أصبح "يثرون" هو كاهن مدين.

وأم سليمان هى بتشبع بنت أليعام في صموئيل الثاني ١١ / ٣؛ ٢١ / ٢٤، وقد التوى اللسان مرة أخرى وسطر لنا اسم أم

---

١ ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٨٤/١ .

سليمان مخالفاً، فهي بتشوع بنت عميئيل في أخبار الأيام الأول ٣/٥ .

وموسير والجدجود في التثنية ١٠/٦ ـ ٧ ، قد تحولا بفتل اللسان وليه إلى مسيروت والجدجاد في سفر العدد ٣٣/٣٠ ـ ٣٨ .

وأما إذا اعتبرنا التحريف والتبديل والكذب والافتراء والتأويل الفاسد ـ وكلها آفات لسانية ـ من ضروب اللي، فيكفينا ما سقناه في إطار هذا البحث كله.

الخاتمة:

وهكذا نجد أن القرآن الكريم قد قدم لنا العديد من المصطلحات النقدية الدقيقة في تعامله مع نصوص التوراة، وأرسى بذلك أسس منهج نقد النص التي طرقها المسلمون الأوائل ممهدين بذلك السبل لقيام هذا العلم في الغرب، وليحدث ثورة حقيقية في مجال الدراسات النقدية للأديان.

إن الملاحظات النقدية الغربية على نصوص العهد القديم، تنحصر بشكل أو بآخر في تلك المصطلحات النقدية القرآنية.

وإذا كانت تلك المصطلحات القرآنية ـ على نحو ما بينا في هذه الدراسة ـ قد تراوحت بين التحديد ـ كالكتابة والتبديل مثلاً ـ وبين الإطلاق ـ كالتحريف على سبيل المثال ـ فإنها، بلا شك، قد اشتملت على كل ما يمكن أن يوجه للنص من نقد.

ولا أزعم في هذا المقام أنى قد وقفت على كل ما يفى بالموضوع، وإنما هى محاولة للإيقاظ والتنبيه، إيقاظ وتنبيه الدارسين إلى الربط بين موضوعية المناهج القرآنية، وبين ظواهر الدراسات الدينية، ليلجوا إلى هذا البحر العميق، ومعهم معدات الغوص المناسبة، وأسأل المولى القدير أن يعيننا على فهم كتابه، وأن يرزقنا ثبات الإيمان والله الهادى إلى سواء السبيل.

المصادر والمراجع

أولاً : العربية :

القرآن الكريم .

الكتاب المقدس .

* ابن زكريا، أبو الحسن أحمد بن فارس،

معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، طهران، ١٤٠٤ هـ.

* ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل،

تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ط ـ ، ١٩٨٦م.

* ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين،

لسان العرب، دار صادر، بيروت ، د. ت.

* أبو السعود، محمد بن محمد العمادى،

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣م.

* أحمد عيس الأحمد،

داود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم، دراسة لغوية تاريخية مقارنة، الكويت ١٩٩٠م.

* أحمد محمود هويدي،

منهج ابن حزم في نقد التوراة، مجلة الدراسات الشرقية، العدد ١٤، القاهرة، ١٩٩٥م.

* أحمد مصطفى المراغى،

تفسير المراغى، البابي الحلبي، القاهرة، ط ٤ ، ١٩٦٩م .

الألوسى، شهاب الدين السيد محمود،
روح المعاني، ملتان، باكستان، د ت.
* الأندلسى، أبو حيان،
تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، د. ت.
* الخازن، علاء الدين البغدادي،
لباب التأويل في معانى التنزيل، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٩٥٥م.
* الرازى، فخر الدين،
التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
* رحمة الله هندى،
إظهار الحق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت.
* السيوطى، جلال الدين،
الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
* الصورى أبو الحسن اسحق (مترجم)
التوراة السامرية، دار الأنصار، القاهرة، د. ت
* الطبرسى، أبو علي الفضل بن الحسن،
مجمع البيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ
* الطبري، ابن جرير،
جامع البيان في تفسير القرآن، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٨م.
* الظاهرى، ابن حزم،
الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٥م.

*الفيروز آبادى، مجد الدين محمد بن يعقوب،

القاموس المحيط، مؤسسة الحلبى، القاهرة، د. ت.

* القرطبي، أبو عبدالله محمد الأنصارى،

الجامع لأحكام القرآن، د. ، د. ت.

* مجمع اللغة العربية،

المعجم الوسيط، ط ٢، د. ت .

* معجم الفاظ القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م.

* مجموعة من علماء اللاهوت،

السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، د. ن، د.ت

* محمد جلاء إدريس،

العقيدة، أصولها التاريخية وأسسها الإسلامية، الجيزة، ١٩٩٢م.

* محمد خليفة حسن،

ظاهرة النبوة الإسرآئيلية، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٩٨١م.

* محمد رشيد رضا،

تفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، د. ت.

* محمد عبد الله الشرقاوى،

منهج نقد النص، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣م.

في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات دار الهداية، القاهرة، د. ت .

ثانياً : الأجنبية :

* Benett, W.,

The Century Bible, Exodus. Oxford, Undated.

* Bentzen,

Introduction to the old Testament, Vol. II, Copenhagen, 1942.

* Davidson, R.,

Biblical Criticism, Penguin Book, U.K., 1970

* Driver, S.,

An Introduction to the Literature of the Old Testament, New York, 1956.

* Henshaw, T.,

The Latter Prophets. London, 1958.

* Keil, C.,

Biblical Commentary on the Old Testament, Vol. 2, Translated by: Martin,

U.S.A, 1965.

* Osterly and Robinson,

Hebrew Religion, London, 1937.